



رابطة العالم الإسلامي
هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية
بالمملكة العربية السعودية
برنامج القرآن و الدعوة

وجوب

الإختصاص بكتاب الله

عز وجل

وسنة من سوله

صلى الله عليه وسلم

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله تعالى

وجوب

الاعتصام بكتاب الله

وسنة رسوله ﷺ و التحذير مما يخالفها

و يليه

وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ

و كفر من أنكرها

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله تعالى

إهداء من برنامج القرآن الكريم والدعوة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وجوب الاعتصام بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ

والتحذير مما يخالفهما (١)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وصفوته من خلقه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى أصحابه ومن سلك سبيله، واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله عز وجل بعث نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق، كما قال سبحانه في سورتي التوبة والصف: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]، وقال في سورة الفتح: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

قال علماء التفسير رحمهم الله: الهدى: هو ما بعث الله به نبيه ﷺ من العلوم النافعة، والأخبار الصادقة، ودين الحق: هو ما بعثه الله به من الأعمال الصالحة، والأحكام العادلة.

(١) هذه الرسالة مأخوذة من «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» الجزء الأول ص ٢٣١، وهي كلمة ألقاها سماحة الشيخ في افتتاح الموسم الثقافي لرابطة العالم الإسلامي لحج عام ١٤٠٦ هـ بمكة المكرمة مساء السبت ١٤٠٦/١١/١٩ هـ.

وقد بيّن الله سبحانه أن الإيمان بما بعث به نبيه ﷺ من الهدى ودين الحق، والعمل بذلك، هو الصراط المستقيم الذي من سار عليه، واستقام عليه، وصل إلى شاطئ السلامة، وفاز بالجنة والكرامة، ومن حاد عنه واتبع هواه باء بالصفة الخاسرة، وسوء المصير.

وقد أمر الله عز وجل جميع العباد باتباع الصراط المستقيم ونهاهم عن اتباع السبل التي تفضي بهم إلى صراط الجحيم، فقال عز وجل في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

وأشار بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا﴾ إلى ما سبق أن أمر نبيه ﷺ أن يتلوه على الناس، وبيّنه لهم، ليعقلوا ويتذكروا، وذلك في قوله سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفِيفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥١، ١٥٢].

ثم قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾ الآية

[الأنعام: ١٥٣]، فبين عز وجل بهذا: أن امتثال هذه الأوامر والنواهي، هو الصراط المستقيم الذي أمر باتباعه. ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾
وبدأها سبحانه بالتحذير من الشرك وبيان تحريمه على الأمة؛ وذلك لأنه أعظم الذنوب وأشهر الجرائم، ولأن ضده وهو التوحيد هو أعظم الفرائض وأهم الواجبات، وذلك هو أساس الملة، وقاعدة الصراط المستقيم، وهو الذي بعث الله به جميع الرسل، وأنزل به جميع الكتب، وخلق من أجله الثقليين، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وقد أمر الله عباده بذلك في مواضع كثيرة من كتابه، وعلى لسان رسوله محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَمَقُّونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وأرشد عباده في سورة الفاتحة أن يقرؤا بذلك لله سبحانه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرحمن الرحيم: ٢]

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٢١﴾ ﴿

[الفاتحة: ٢-٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟» قال معاذ: قلت: الله ورسوله أعلم. فقال ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً...». الحديث. وقال ﷺ: «من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار». خرجه البخاري في صحيحه، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها: لا معبود حق إلا الله، فهي تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبتها بحق الله وحده، كما قال الله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾ [لقمان: ٣٠]

ثم ذكر سبحانه حق الوالدين، وهو الإحسان إليهما وعدم عقوقهما.

ثم نهى عن قتل الأولاد من أجل الإملاق وهو الفقر، وأخبر أنه سبحانه هو الذي يرزق الوالدين والأولاد. وكان من عادة بعض أهل الجاهلية قتل أولادهم خشية الفقر، فنهى عباده عن فعل ذلك؛ لما فيه من الظلم والعدوان وسوء الظن بالله عز وجل.

ثم نهى عن قربان الفواحش ظاهرها وباطنها، وهي المعاصي

كلها، ثم خص من ذلك قتل النفس بغير حق لعظم هذه الجريمة، وسوء عاقبتها أكثر من غيرها من المعاصي التي دون الشرك. ثم نهى عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، حتى يبلغ أشده، وذلك حين يبلغ ويرشد.

ثم أمر بالوفاء بالكيل والميزان بالقسط وهو العدل؛ لما في بخش المكيال والميزان من الظلم والعدوان، وأكل المال بالباطل.

ثم أمر بالعدل في القول بعدما أمر بالعدل في الفعل، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. والمعنى: أن العدل في جميع الأقوال والأفعال مع القريب والبعيد، والحبيب والبغض، طاعة لله سبحانه، وتنفيذ لحكمه، وضده: هو الظلم في القول والعمل.

ثم أمر عباده سبحانه بالوفاء بعهده الذي عهد إليهم في كتابه المبين، وعلى لسان رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، وذلك يشمل جميع ما شرعه لعباده من الفرائض والأحكام والأقوال والأعمال، وما نهاهم عنه سبحانه، كما نص على ذلك أئمة التفسير.

ثم قال عز وجل بعد ذلك: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فعلم بهذا: أن صراطه سبحانه هو العمل بأوامره، والانتهاز عن نواهيه، والإيمان بكل ما جاء به رسوله ﷺ من العلوم النافعة،

والأخبار الصادقة، والشرائع والأحكام ظاهراً وباطناً، خلافاً لأهل النفاق.

وقد أرشد سبحانه عباده في سورة الفاتحة، إلى أن يسألوه الهداية إلى هذا الصراط لشدة ضرورتهم إلى ذلك، ويبيّن سبحانه أنه هو طريق المنعم عليهم، المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقد دلت الأحاديث المرفوعة والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان، على أن السبل التي نهى الله عن اتباعها هي البدع والشبهات والشهوات المحرمة، والمذاهب والنحل المنحرفة عن الحق، وسائر الأديان الباطلة.

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد والنسائي بإسناد صحيح، عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: «خط رسول الله ﷺ خطأ بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً». وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال: «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه». ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ومما يحسن التنبيه عليه: أنه عز وجل ذكر في ختام الآية الأولى من الآيات الثلاث المذكورة آنفاً: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّانُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وفي ختام الآية الثانية: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّانُكُمْ بِهِ﴾

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ [الأُنعام: ١٥٢]، وفي ختام الآية الثالثة:
﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأُنعام: ١٥٣].

قال بعض علماء التفسير: الحكمة في ذلك - والله أعلم - أن من تدبر كتاب الله عز وجل، وأكثر من تلاوته حصل له التعقل للأوامر والنواهي، والتذكر لما تشتمل عليه من المصالح العظيمة، والعواقب الحميدة في الدنيا والآخرة، وبذلك ينتقل إلى التقوى: وهي فعل الأوامر وترك النواهي، اتقاء لغضب الله وعقابه، ورغبة في مغفرته ورحمته، والفوز بكرامته.

وهذا معنى عظيم، وذلك من أسرار كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لكونه تنزيلاً من حكيم حميد، لا تخفى عليه خافية، ولا يعجزه شيء، وهو العالم بأحوال عباده ومصالحهم، لا إله غيره، ولا رب سواه.

وقد أخبر سبحانه أن ما أوحى الله به إلى نبيه ﷺ هو روح تحصل به الحياة الطيبة، ونور تحصل به البصيرة والهداية، كما أخبر أن رسوله الكريم يهدي إلى صراطه المستقيم، الذي أوضحه في الآيات الثلاث التي ذكرنا انقاً، وذلك في قوله عز وجل في سورة الشورى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

فأوضح سبحانه أن الوحي الذي أوحاه إلى نبيه ﷺ من الكتاب والسنة، روح تحصل به الحياة الطيبة، السعيدة الحميدة، ونور تحصل به الهداية والبصيرة، كما قال عز وجل في سورة الأنعام: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا...﴾ الآية [الأنعام: ١٢٢]، فأخبر سبحانه أن الكافر ميت منغمس في الظلمات، لا خروج له منها إلا إذا أحياه الله بالإسلام والعلم النافع.

وقال عز وجل في سورة الأنفال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾ الآية [الأنفال: ٢٤]، فأخبر سبحانه أن الاستجابة لله وللرسول هي الحياة، وأن من لم يستجب لله وللرسول فهو ميت مع الأموات.

وقال عز وجل في سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فأبان سبحانه في هذه الآية الكريمة أن من عمل صالحًا من الذكور والإناث وهو مؤمن بالله ورسوله أحياه الله حياة طيبة، وهي الحياة التي فيها راحة القلب، والضمير، مع السعادة العاجلة والآجلة، لاستقامة صاحبها على شرع مولاه سبحانه، وسيره على ذلك إلى أن يلقاه عز وجل، ثم أخبر سبحانه أنه يجزيهم في الآخرة أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون؛ فجمع لهم سبحانه بين الحياة الطيبة في الدنيا، والسعادة الكاملة في الآخرة،

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. ومعلوم أنه لا يحصل هذا الخير العظيم إلا لمن اعتصم بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ قولاً وعملاً وعقيدة، واستمر على ذلك حتى يلقي ربه عز وجل، كما قال سبحانه في سورة آل عمران: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

أمر الله سبحانه في هاتين الآيتين أهل الإيمان بأن يتقوا الله في جميع حياتهم، حتى يموتوا على ذلك، وأمرهم بالاعتصام بحبله، وهو دينه الذي بعث به نبيه ﷺ، وهو الإسلام وهو التمسك بالقرآن والسنة، ونهى عن التفرق في ذلك؛ لما يقضي إليه التفرق من ضياع الحق، وسوء العاقبة، واختلاف القلوب.

وقال سبحانه في سورة الحجر يخاطب نبيه ﷺ: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُوَمَّرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: ٩٤]، إلى أن قال سبحانه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩]، فأمره سبحانه أن يبلغ رسالاته، ويصدع بذلك، ويعرض عن مخالفة، ثم أمره أن يسبح بحمده، وأن يكون من الساجدين له عز وجل، وأن يعبد ربه حتى يأتيه اليقين، وهو الموت.

فعلم بذلك أن الواجب على جميع العباد أن يستقيموا على شرع الله، وأن يعتصموا بكتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن يستمروا في ذلك،

ويلزمه ولا يباليوا بمن خالفه، حتى تنزل بهم آجالهم . وقد أمر سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، وفي أحاديث كثيرة مما صح عن رسول الله ﷺ باتباع كتابه الكريم، والاعتصام به واتباع السنة وتعظيمها، والحذر مما خالفهما .

فمن ذلك : قوله تعالى : في سورة الأعراف : ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣] ، وقال سبحانه في سورة الأنعام : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] ، وقال في سورة الإسراء : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩] ، وقال في سورة ص : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وقال سبحانه في سورة النساء لما ذكر تفصيل الميراث : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء : ١٣ ، ١٤] . وقال فيها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

فأمر سبحانه في هذا الآية العظيمة بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ وأولي الأمر، وأمر عند التنازع بالرد إليه سبحانه وإلى رسوله ﷺ.

وقد بين أهل العلم أن الرد إليه سبحانه هو: الرد إلى كتابه الكريم، وأن الرد إلى الرسول ﷺ هو: الرد إليه في حياته، وإلى سنته ﷺ بعد وفاته.

وأخبر عز وجل أن هذا الرد خير للعباد في دنياهم وأخراهم، وأحسن تأويلاً؛ أي عاقبة.

وبهذا يعلم أن الواجب على جميع أهل الإسلام أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل أمورهم، وأن يردوا ما تنازعوا فيه إليهما، وأن ذلك خير لهم وأحسن عاقبة في العاجل والآجل.

أما طاعة أولي الأمر فهي واجبة في المعروف، كما صحت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ، وهذا الموضع من المواضع التي قيد فيها مطلق الكتاب بما يصح في السنة عن الرسول ﷺ؛ لأنه هو المبلغ عنه، والدادل على شريعته بأمره سبحانه، كما قال عز وجل في سورة النحل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال فيها سبحانه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، وقال سبحانه في سورة النساء أيضاً: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

وبين سبحانه في سورة الأعراف أن أنصاره وأتباعه هم المفلحون، وبين عز وجل أن الهداية معلقة بأتباعه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَمَن مَّنَّ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يَوْمُنُّ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۗ وَاتَّبِعُوهُ لَمَلَكَم تَهْتَدُوا ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٧، ١٥٨].

وقال في سورة الأنفال: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّمَعْتُمْ سَمْعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الآية .

وسبق أن هذه الآية العظيمة تدل على أن الحياة بالاستجابة لله وللرسول ﷺ، وأن من لم يستجب لله ورسوله فهو من الأموات، وإن كان حياً بين الناس حياة البهائم.

وقال عز وجل في سورة النور: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۗ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلٰغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]، فأبان سبحانه في هذه الآية الكريمة أن الهداية في طاعته، واتباع ما جاء به، ولا شك أن طاعته ﷺ طاعة لله عز وجل، واتباع لكتابه العظيم، كما قال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ الآية [النساء: ٨٠].

وقال في آخر سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وهذا وعيد شديد لمن حاد عن أمره ﷺ واتبع هواه.

وقال في سورة الفتح: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

وقال في سورة الحشر: ﴿وَمَا آءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحْذَوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

والآيات في الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ واتباع كتاب الله عز وجل والاهتداء به كثيرة جدًا، وقد ذكرنا منها بحمد الله ما فيه الكفاية والمفنع لمن وفق لقبول الحق.

وأما الأحاديث في ذلك فهي كثيرة أيضًا، نذكر منها ما تيسر، ومن ذلك: ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني».

والمراد بطاعة الأمير طاعته في المعروف، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ومعلوم أن السنة يقيد مطلقها بمقيدها، كما أن الكتاب العزيز يفسر المطلق فيه بالمقيد، ويفسر مطلقه أيضًا بمقيد السنة كما سبق التنبيه على ذلك عند ذكر قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

منكره... الآية [النساء: ٥٩].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قيل: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم بإسناد صحيح عن المقدم ابن معدي كرب، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه».

وخرج أبو داود وابن ماجه بسند صحيح عن ابن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه».

وعن الحسن بن جابر قال: سمعت المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه يقول: حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال: «يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكىء يحدث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله». أخرجه الحاكم والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح.

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنه كان يوصي

أصحابه في خطبته أن يبلغ شاهدهم غائبهم ويقول لهم: «رب مبلغ أوعى من سامع».

ومن ذلك ما في الصحيحين أن النبي ﷺ لما خطب الناس في حجة الوداع في يوم عرفة، وفي يوم النحر قال لهم: «فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى له ممن سمعه».

فلولا أن سنته حجة على من سمعها وعلى من بلغته، ولولا أنها باقية إلى يوم القيامة، لم يأمرهم بتبليغها، فعلم بذلك أن الحجة بالسنة قائمة على من سمعها من فيه عليه الصلاة والسلام، وعلى من نقلت إليه بالأسانيد الصحيحة.

وأسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسك بكتابه، وسنة رسوله ﷺ، والعمل بهما، والتحاكم إليهما، ورد ما تنازع فيه المسلمون إليهما، وأن يوفق حكام المسلمين وقادتهم لاتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ، والحكم بهما في جميع الشئون، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق، وينصرهم على أعدائهم.

كما أسأله سبحانه أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويخذل أعداءه، ويوفق المجاهدين في سبيله لما فيه رضاه، ويجمع كلمتهم على الحق، ويؤلف بين قلوبهم، وينصرهم على أعدائهم أعداء الإسلام، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان.



وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها (١)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد المرسل رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين، وعلى آله وأصحابه الذين حملوا كتاب ربهم سبحانه، وسنة نبيهم ﷺ إلى من بعدهم، بغاية الأمانة والإتقان، والحفظ التام للمعاني والألفاظ رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعلنا من أتباعهم بإحسان.

أما بعد: فقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أن الأصول المعتبرة في إثبات الأحكام، وبيان الحلال والحرام في كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ثم إجماع علماء الأمة. واختلف العلماء في أصول أخرى أهمها القياس، وجمهور أهل العلم على أنه حجة إذا استوفى شروطه المعتبرة، والأدلة على هذه الأصول أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر.

● أما الأصل الأول: فهو كتاب الله العزيز، وقد دل كلام ربنا عز وجل

(١) هذه الرسالة مأخوذة من «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» الجزء الأول ص ٢١١، وقد نشرت بمجلة البحوث الإسلامية العدد الخامس الصادر من محرم إلى جمادى الثانية عام ١٤٠٠ هـ، وصدرت في نشرة صغيرة من الرئاسة العامة عام ١٤٠٠ هـ شركة الطباعة العربية السعودية.

في مواضع من كتابه على وجوب اتباع هذا الكتاب والتمسك به ، والوقوف عند حدوده ، قال تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣] . وقال تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] . وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] . والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وقد جاءت الأحاديث الصحاح عن رسول الله ﷺ أمره بالتمسك بالقرآن والاعتصام به ، دالة على أن من تمسك به كان على الهدى ، ومن تركه كان على الضلال ، ومن ذلك ما ثبت عنه ﷺ أنه قال في خطبته في حجة الوداع : «إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به : كتاب الله» . رواه مسلم في صحيحه .

وفي صحيح مسلم أيضاً عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إني تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به» . فحث على كتاب الله ، ورغب فيه ، ثم

قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». وفي لفظ قال في القرآن: «هو جبل الله، من تمسك به كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلال». والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. في إجماع أهل العلم والإيمان من الصحابة ومن بعدهم على وجوب التمسك بكتاب الله والحكم به والتحاكم إليه، مع سنة رسول الله ﷺ، ما يكفي ويشفي عن الإطالة في ذكر الأدلة الواردة في هذا الشأن.

● أما الأصل الثاني من الأصول الثلاثة المجمع عليها: فهو ما

صح عن رسول الله ﷺ وأصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان، يؤمنون بهذا الأصل الأصيل، ويحتجون به ويعلمونه الأمة، وقد ألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة، وأوضحوا ذلك في كتب أصول الفقه والمصطلح، والأدلة على ذلك لا تحصى كثرة.

فمن ذلك ما جاء في كتاب الله العزيز من الأمر باتباعه وطاعته، وذلك موجه إلى أهل عصره ومن بعدهم؛ لأنه رسول الله إلى الجميع، ولأنهم مأمورون باتباعه وطاعته، حتى تقوم الساعة، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المفسر لكتاب الله، والمبين لما أجمل فيه بأقواله وأفعاله وتقريره، ولولا السنة لم يعرف المسلمون عدد ركعات الصلوات وصفاتها وما يجب فيها، ولم يعرفوا تفصيل أحكام الصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يعرفوا تفاصيل أحكام المعاملات والمحرمات، وما أوجب الله بها من حدود وعقوبات. وما ورد في ذلك من الآيات: قوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١٣٢] ﴿ [آل عمران : ١٣٢] ، وقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً : ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء : ٨٠] . وكيف تمكن طاعته ورد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ، إذا كانت سنته لا يحتج بها ، أو كانت كلها غير محفوظة ، وعلى هذا القول يكون الله قد أحال عباده إلى شيء لا وجود له ، وهذا أبطل الباطل ، ومن أعظم الكفر بالله ، وسوء الظن به .

وقال عز وجل في سورة النحل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] ، وقال فيها أيضاً : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤] . فكيف يكفل الله سبحانه إلى رسوله ﷺ تبين المنزل إليهم ، وسنته لا وجود لها أو لا حجة فيها .

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة النور : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور : ٥٤] . وقال تعالى في السورة نفسها : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور : ٥٦] .

وقال في سورة الأعراف: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وفي هذه الآيات الدلالة الواضحة على أن الهداية والرحمة في اتباعه عليه الصلاة والسلام، وكيف يمكن ذلك مع عدم العمل بسنته، أو القول بأنه لا صحة لها، أو لا يعتمد عليها، وقال عز وجل في سورة النور: ﴿ فليحذر الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]. وقال في سورة الحشر: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلها تدل على وجوب طاعته عليه الصلاة والسلام، واتباع ما جاء به، كما سبقت الأدلة على وجوب اتباع كتاب الله، والتمسك به وطاعة أوامره ونواهيه، وهما أصلان متلازمان؛ من جحد واحداً منهما فقد جحد الآخر وكذب به، وذلك كفر وضلال، وخروج عن دائرة الإسلام بإجماع أهل العلم والإيمان.

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في وجوب طاعته، واتباع ما جاء به، وتحريم معصيته، وذلك في حق من كان في عصره، وفي حق من يأتي بعده إلى يوم القيامة، ومن ذلك ما ثبت عنه في النصيحة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من أطاعني

فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله .
وفي صحيح البخاري عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كل
أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » . قيل : يا رسول الله ، ومن يأبى ؟
قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » .
وخرَجَ أحمد وأبو داود والحاكم بإسناد صحيح عن المقدم بن
معدي كرب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إلا إني أوتيت الكتاب ومثله
معه ، ألا يوشك رجل شعبان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما
وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه » .
وخرج أبو داود وابن ماجه بسند صحيح : عن ابن أبي رافع عن أبيه
عن النبي ﷺ قال : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري
مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا ندرى ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » .
وعن الحسن بن جابر قال : سمعت المقدم بن معدي كرب رضي الله
عنه يقول : « حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ، ثم قال : « يوشك
أحدكم أن يكذبني وهو متكىء يحدث بحديثي فيقول : بيننا وبينكم
كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من
حرام حرمناه ، ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » . أخرجه
الحاكم والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح .
وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنه كان يوصي
أصحابه في خطبته أن يبلغ شاهدتهم غائبهم ، ويقول لهم : « رُبَّ مُبَلِّغٍ
أوعى من سامع » . ومن ذلك ما في الصحيحين : أن النبي ﷺ لما خطب

الناس في حجة الوداع في يوم عرفة وفي يوم النحر قال لهم: "فليبلغ الشاهد الغائب، فرب من يبلغه أو عى له ممن سمعه".

فلولا أن سنته حجة على من سمعها وعلى من بلغته، ولولا أنها باقية إلى يوم القيامة، لم يأمرهم بتبليغها؛ فعلم بذلك أن الحجة بالسنة قائمة على من سمعها من فيه عليه الصلاة والسلام وعلى من نقلت إليه بالأسانيد الصحيحة.

وقد حفظ أصحاب رسول الله ﷺ سنته عليه الصلاة والسلام وقلوبهم والفعلية، وبلغوها من بعدهم من التابعين، ثم بلغها التابعون من بعدهم، وهكذا نقلها العلماء الثقات جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، وجمعوها في كتبهم، وأوضحوا صحيحها من سقيمها، ووضعوا المعرفة ذلك قوانين وضوابط معلومة بينهم، يعلم بها صحيح السنة من ضعيفها، وقد تداول أهل العلم كتب السنة من الصحيحين وغيرهما، وحفظوها حفظاً تاماً، كما حفظ الله كتابه العزيز من عبث العابثين وإلحاد الملحدين، وتحريف المبطلين، تحقيقاً لما دل عليه قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولاشك أن سنة رسول الله ﷺ وحي منزل، فقد حفظها الله كما حفظ كتابه، وقيض الله لها علماء نقاداً، ينفون عنها تحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويذوبون عنها كل ما ألصقه بها الجاهلون والكذابون والملحدون؛ لأن الله سبحانه جعلها تفسيراً لكتابه الكريم، وبيانياً لما أجهل فيه من الأحكام، وضمنها أحكاماً أخرى، لم ينص عليها الكتاب العزيز، كتفصيل أحكام الرضاع، وبعض أحكام الموارث،

وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، إلى غير ذلك من الأحكام التي جاءت بها السنة الصحيحة ولم تذكر في كتاب الله العزيز .

* ذكر بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل

العلم في تعظيم السنة، ووجوب العمل بها

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وارتد من ارتد من العرب، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فقال له عمر رضي الله عنه: كيف تقاتلهم، وقد قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»؟ فقال أبو بكر الصديق: أليست الزكاة من حقها؟! والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. فقال عمر رضي الله عنه: فما هو إلا أن عرفت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. وقد تابعه الصحابة رضي الله عنهم على ذلك، فقاتلوا أهل الردة حتى ردوهم إلى الإسلام، وقتلوا من أصر على رده.

وفي هذه القصة أوضح دليل على تعظيم السنة، ووجوب العمل بها، وجاءت الجدة إلى الصديق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها، فقال لها: ليس لك في كتاب الله شيء، ولا أعلم أن رسول الله ﷺ قضى لك بشيء، وسألت الناس. ثم سألت رضي الله عنه الصحابة: فشهد عنده بعضهم بأن النبي ﷺ أعطى الجدة السدس، فقضى لها بذلك.

وكان عمر رضي الله عنه يوصي عماله أن يقضوا بين الناس

لكتاب الله ، فإن لم يجدوا القضية في كتاب الله ، فبسنة رسول الله ﷺ ، ولما أشكل عليه حكم إملاص المرأة - وهو إسقاطها جنينًا ميتًا بسبب تعدي أحد عليها - سأل الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك ، فشهد عنده محمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما : بأن النبي ﷺ قضى في ذلك بغرة عبد أو أمة ففضى بذلك رضي الله عنه .

ولما أشكل على عثمان رضي الله عنه حكم اعتداد المرأة في بيتها بعد وفاة زوجها ، وأخبرته فريعة بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيد رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ أمرها بعد وفاة زوجها أن تمكث في بيته حتى يبلغ الكتاب أجله ، قضى بذلك رضي الله عنه .

وهكذا قضى بالسنة في إقامة حد الشرب على الوليد بن عقبة ، ولما بلغ عليًا رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه ينهى عن متعة الحج ، أهل علي رضي الله عنه بالحج والعمرة جميعًا ، وقال : لا أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس .

ولما احتج بعض الناس على ابن عباس رضي الله عنهما في متعة الحج بقول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في تحبيذ أفراد الحج ، قال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء!! أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبو بكر وعمر .

فإذا كان من خالف السنة لقول أبي بكر وعمر تخشى عليه العقوبة ، فكيف بحال من خالفها لقول من دونهما ، أو لمجرد رأيه واجتهاده! .

ولما نازع بعض الناس عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في بعض السنة قال له عبد الله: هل نحن مأمورون باتباع عمر أو باتباع السنة؟

ولما قال رجل لعمران بن حصين رضي الله عنهما: حدثنا عن كتاب الله - وهو يحدثهم عن السنة - غضب رضي الله عنه، وقال: إن السنة هي تفسير كتاب الله. ولولا السنة لم نعرف أن الظهر أربع، والمغرب ثلاث، والفجر ركعتان، ولم نعرف تفصيل أحكام الزكاة... إلى غير ذلك مما جاءت به السنة من تفصيل الأحكام والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم في تعظيم السنة ووجوب العمل بها والتحذير من مخالفتها كثيرة جداً.

ومن ذلك أيضاً: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما حدث بقوله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» قال بعض أبناء: والله لنمنعهن، فغضب عليه عبد الله وسبه سباً شديداً، وقال: أقول: قال رسول الله، وتقول: والله لنمنعهن!

ولما رأى عبد الله بن المغفل المزني رضي الله عنه - وهو من أصحاب رسول الله ﷺ - بعض أقاربه يخذف، نهاه عن ذلك، وقال له: إن النبي ﷺ نهى عن الخذف، وقال: إنه لا يصيد صيداً ولا يتركأ عدواً، ولكنه يكسر السن ويفقأ العين، ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال: والله لا كلمتك أبداً، أخبرك أن رسول الله ﷺ ينهى عن الخذف ثم تعود.

وأخرج البيهقي عن أيوب السخيتاني التابعي الجليل، أنه قال: إذا

حدثت الرجل بسنة فقال : دعنا من هذا ، وأنبنا عن القرآن ، فاعلم أنه ضال .
 وقال الأوزاعي رحمه الله : السنة قاضية على الكتاب ، أي تقيده ما
 أطلقه ، أو بأحكام لم تذكر في الكتاب ، كما في قول الله سبحانه : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ
 وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] . وسبق قوله ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » .

وأخرج البيهقي عن عامر الشعبي رحمه الله أنه : قال لبعض
 الناس : « إنما هلكتم في حين تركتم الآثار » يعني بذلك الأحاديث
 الصحيحة . وأخرج البيهقي أيضاً عن الأوزاعي رحمه الله : أنه قال
 لبعض أصحابه : إذا بلغك عن رسول الله حديث ، فإياك أن تقول
 بغيره ؛ فإن رسول الله ﷺ كان مبلغاً عن الله تعالى .

وأخرج البيهقي عن الإمام الجليل سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله أنه
 قال : « إنما العلم كله ، العلم بالآثار » ، وقال مالك رحمه الله : « ما منا إلا أراد
 ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر » وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ .

وقال أبو حنيفة رحمه الله : « إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ
 فعلى الرأس والعين » .

وقال الشافعي رحمه الله : « متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً
 صحيحاً فلم آخذه ، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب » .

وقال أيضاً رحمه الله : « إذ قلت قولاً وجاء الحديث عن رسول الله ﷺ
 بخلافه فاضربوا بقولي الحائط » .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لبعض أصحابه: «لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي، وخذ من حيث أخذنا». في نسخة أخرى: لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي، وخذ من حيث أخذنا. وقال أيضاً رحمه الله: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته عن رسول الله ﷺ يذهبون إلى رأي سفيان، والله سبحانه يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. ثم قال: «أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله عليه الصلاة والسلام، أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك». في نسخة أخرى: لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي، وخذ من حيث أخذنا.

وأخرج البيهقي عن مجاهد بن جبر التابعي الجليل: أنه قال في قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ لَنْتَرَعَمَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. قال: الرد إلى الله: الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول: الرد إلى السنة. في نسخة أخرى: لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي، وخذ من حيث أخذنا. وأخرج البيهقي عن الزهري رحمه الله أنه قال: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة. في نسخة أخرى: لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي، وخذ من حيث أخذنا.

وقال موفق الدين بن قدامة رحمه الله في كتابه «روضة الناظر» في بيان أصول الأحكام ما نصه: «والأصل الثاني من الأدلة: سنة رسول الله ﷺ، وقول رسول الله ﷺ حجة؛ لدلالة المعجزة على صدقه، ولأمر الله بطاعته، وتحذيره من مخالفة أمره» انتهى المقصود. في نسخة أخرى: لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي، وخذ من حيث أخذنا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أي: عن أمر رسول الله ﷺ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته، وسنته، وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك

قبل ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان .
 كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من
 عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » أي : فليخش وليحذر من خالف
 شريعة الرسول باطنًا وظاهرًا : ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ؛ أي : في قلوبهم
 من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ؛ أي : في
 الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك .
 كما روى الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام ابن
 منبه ، قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثلكم
 كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب
 اللاتي يقعن في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبهن فيقتحمن فيها ،
 قال : فذلك مثلي ومثلكم ، أنا أخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ،
 فتغلبوني وتقتحمون فيها » أخرجاه من حديث عبد الرزاق .
 وقال السيوطي رحمه الله في رسالته المسماة (مفتاح الجنة في
 الاحتجاج بالسنة) ما نصه : « اعلموا رحمكم الله أن من أنكر أن كون حديث
 النبي ﷺ - قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول - حجة ، كفر
 وخرج عن دائرة الإسلام ، وحشر مع اليهود والنصارى ، أو مع من
 شاء الله من فرق الكفرة » . انتهى المقصود .

والآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم في
 تعظيم السنة ، ووجوب العمل بها ، والتحذير من مخالفتها كثيرة
 جدًا ، وأرجو أن يكون فيما ذكرنا من الآيات والأحاديث والآثار

كفاية ومقنع لطالب الحق ، ونسأل الله لنا ولجميع المسلمين التوفيق لما يرضيه، والسلامة من أسباب غضبه ، وأن يهدينا جميعاً صراطه المستقيم إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

..... ٣٧

..... ٣٨

..... ٨١

..... ٨١

..... ٨١

..... ٨٢

..... ٨٢

..... ٢٢

الأهداف العامة لبرنامج القرآن الكريم و الدعوة بهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية

- ١- نشر عقيدة التوحيد الخالصة من كتاب الله و سنة رسوله ﷺ .
- ٢- تعميق التدين العملي المبني على الفقه في الدين و معرفة ما أَرَادَهُ رب العالمين .
- ٣- تثبيت الفهم الصحيح و التصور الحق لحقائق الدين الإسلامي و خصائصه و شرائعه .
- ٤- الدعوة و الالتزام بالأخلاق الإسلامية و الفضائل الشرعية في حياة الفرد و المجتمع .
- ٥- التحذير من الشرك و البدع و الانحرافات الفكرية التي طرأت في حياة الأمة المسلمة .
- ٦- التحذير من الأخلاق الذميمة و الرسائل و السلوك المنحرف .
- ٧- فضح الأفكار الهدامة و العقائد المنحرفة و الطوائف و الفرق الضالة و التحذير منها .
- ٨- الحث على الدعوة إلى الله و القيام بواجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .
- ٩- إقامة الحسبة و إعداد الأشخاص المؤهلين للقيام بهذه الواجبات .
- ١٠- مكافحة الأمية الدينية في الأمة الإسلامية و تعليمها فروض العين التي لا يعذر المسلم بجهلها .
- ١١- تحفيظ القرآن الكريم .
- ١٢- رفع مستوى مدرسي القرآن الكريم و طلابه و توجيههم للتمسك بالقيم و الآداب الإسلامية .

عناوين الهيئة

ص ب ١٢٨٥ جدة ٢١٤٣١ - ت : ٦٥١٢٣٣٣ - ٦٥١٥٤١١ ف ٦٥١٨٤٩١ ت لكس ٦٠٦٧٥٤ اغاثة إس جي
الرياض ٤٩٣٠٠٣٣ - جدة : ٦٥١٤٣٥٣ - الطائف : ٧٣٨٤٢٢٨ - مكة المكرمة : ٥٦٦٤٤٤٩
المدينة المنورة : ٨٢٢١٣٥٣ - الدمام : ٨٤٢٩٧٥٨ - الجوف : ٦٢٤٥١٦٨ - أبها : ٢٢٦٣٣٣٣
الباحة : ٧٢٥٢٨٤٠ - بريدة : ٣٢٥١٠٣٥ - ينبع : ٣٢٢٤٢٥٣ - عنيزة : ٣٦٤٢٦١٣